برنامج [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] - الحلقة (20)
ولادة القائم من آل محمد صلوات الله عليهم – الجزء (17)
شاشة الاسرة – القسم (9)

الأربعاء: 21 شهر رمضان 1439 الموافق: 2018/6/6

✤ هذهِ هي الحلقةُ الـ(20) مِن برنامجنا [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] وسيتجلّى لكم مَعنى عنوانُ البرنامج بنحوٍ واضح حينما نصِل إلى تتمّة الحديث في هذه الشاشاتِ المُتعدّدة.
لازالَ الحديثُ هو الحديث: حديثُ الولادة (ولادةُ القائم مِن آل مُحمّد "صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين")

● وصلتُ إلى الصُورة السادسة وهي الصُورة الأخيرةُ التي أعرضها في الشاشة الثالثة والتي أسميتُها: شاشة الأسرة.. والتي عنوانها: زيارة السيّدة نرجس والدة إمام زماننا "صلواتُ الله عليه وعليها".. (وأعني بهذا العنوان: نصُّ زيارتها الموجود في مفاتيح الجنان).
الشاشة الأولى: شاشة القرآن، والشاشة الثانية: شاشة العترة، والشاشة الثالثة: شاشة الأُسرة.

● مثلما تقدّم الكلام فإنّني أقفُ عند بَعض المَفاصل، وقد بقي عند مِفصلان مِن المَفاصل التي أُريد أن أقِفَ عندها في هذا النصّ الشريف:
• **المفصل (1):** (**السلامُ عليكِ وعلى رُوحكِ وبدنكِ الطاهر**)
• **المِفصل (2):** (**مُؤْثِرةً هواهم**) حيثُ جاءَ في سياق ما جاء في هذه الزيارة: (**ورغبتِ في وصْلة أبناء رسول الله، عارفةً بحقّهم، مُؤمنةً بصدقهم، مُعترفةً بمَنزلتهم، مُستبصرةً بأمرهم، مُشفِقةً عليهم، مُؤْثِرةً هواهم**،). اخترتُ أهمّ المفاصل والمِفكّات وهي مَفاتيح فَهْم مَغالق المَعاني المُهمّة التي وردتْ في هذهِ الزيارة وهُو جزءٌ مِن هندسةِ الأدعية والزيارات التي نَظَمها لنا المَعصومون "صلواتُ الله عليهم" في منظومةٍ هائلةٍ واسعةٍ عجيبة وهي منظومة الأدعية والزيارات.. وقد مرّ الحديث عنها فيما سلف من الحلقات الماضية.

● قول الزيارة: (**السلامُ عليكِ وعلى رُوحكِ وبدنكِ الطاهر**)
حِين نُسلّم على رُوحها إنّه سلامٌ على عقلها وقلبها.. وإنّما نُسلّم على عقلها وقلبها لأنّهما يرتعانِ في ذلك الوادي المُقدّس الذي ابتدأتْ عبائرُ الزيارة الشريفة بالإشارة إليه حين تقول:
(**السلامُ على رسول الله صلّى اللهُ عليهِ وآله الصادق الأمين، السلامُ على مَولانا أمير المُؤمنين، السلامُ على الأئمةِ الطاهرين الحُجَج المَيامين**)
هذا هو الوادي المقدّس الذي يرتعُ فيه قلبُ السيّدة نرجس وعقلُها.
فحينما نُسلّم عليها.. ونقول "**السلام عليكِ**" هذا سلامٌ على كُلّ كيانها وكُلّ شخصيّتها.. ثُمّ يبدأ التفصيل (**وعلى رُوحكِ وبدنكِ الطاهر**)
طهارةُ عقلها وطهارةُ قلبها هي التي تقود إلى طهارة بدنها.. إنّها صدّيقة، والصدّيقةُ هي التي وصلتْ إلى مَرتبة الصدّيقيّة، وهذه المَرتبة مِن لَوازمها الطهارةُ المعنويّة والطاهرة الماديّة.
فلأنّها صدّيقةٌ فهي طاهرةٌ في رُوحها، وطاهرةٌ في بدنها.. ولذا نُخاطبها بهذا الخطاب (**السلامُ عليكِ وعلى رُوحكِ وبدنكِ الطاهر**)
حينما نصفُ بدنها بالطاهر، إنّه ليسَ وصفاً كما نصف أبداننا بالطهارة؛ لأنّ طهارةَ أبداننا طهارةٌ عرضيّة، ولأنّ طهارةَ أبداننا طهارةٌ مِن الخارج لا مِن الداخل.. فحِينما نُسلّم على بَدنها ونَصِفُهُ بالطهارة في سِياق ذِكْر كمالاتها، فإذا كان المُراد مِن طهارةِ بدنها كطهارةِ أبداننا فلا يُعدّ ذلك كمالاً في جنبِ الكمالات المُتقدّمة التي ذكرتها الزيارة.
• حينما تقول الزيارة مُخاطبةً السيّدة نرجس: (**والمُودَعةِ أسرارَ المَلِك العلّام... السلامُ عليكِ أيّتُها الصدّيقةُ المَرضيّة... يا شبيهةَ أُمّ مُوسى وابنةَ حواري عيسى، أيّتُها الرضيّة المَرضيّة... أيّتُها المَنعوتةُ في الإنجيل، المَخطوبةُ مِن رُوح الله الأمين، ومَن رَغِبَ في وُصْلَتِها مُحمّد سيّد المُرسلين، والمُستودَعةُ أسرارِ ربّ العالمين...**)
ثُمّ يأتي السلامُ عليها وعلى آبائها الحواريّين، ويأتي السلامُ على بعلها ووَلَدِها.. وتلكَ خصوصيّةٌ عاليةٌ جدّاً، فَمَن بعلُها ومَن ولَدُها؟!
في سياق كُلّ هذه المضامين العالية تأتي هذه العبارة: (**السلامُ عليكِ وعلى رُوحكِ وبدنكِ الطاهر**)
فمَعَ هذهِ الكمالات العالية لا يُمكن أن تُعدّ طهارةُ البدن العَرضيّة كطهارات أبداننا لا يُمكن أن تُعَدَّ كمالاً من الكمالات.. فلابُدّ أن تكونَ الطهارةُ طهارةً مُمَيّزةً فيكون هذا البدنُ بكلّه (دواخل البدن وخوارج البدن) كلّها مَوصوفةٌ بالطهارة.. وإلّا لا معنى لوصف بدنها بالطهارة العَرضيّة التي تُوصَف بها أبداننا.. خُصوصاً وأنّ العبارة التي قبلها مُباشرةً جاءتْ السلامُ عليها وعلى بَعلها ووَلدها. فذكْرُ زوجها وذِكْر ولدها إشارةٌ واضحة إلى المُخالطة الجسديّة والماديّة لهذهِ الوُجودات الطاهرة (لبعلها ولولدها) هُناك ممازجةٌ بدنيّة مع هذهِ الوجودات الطاهرة.
• **قد يقول قائل:** الأئمة يتزوّجون أكثر من زوجة.. وأقول: نعم، ولكن الحديث هُنا عن أمّ المعصوم.. فهذهِ المُمازجة لها خُصوصيّتها، ولِذا جاء في الزيارة (**السلامُ عليكِ وعلى بَعلك وولدك**) وبعدها مُباشرةً: (**السلامُ عليكِ وعلى رُوحكِ وبدنكِ الطاهر**). هذه هي معارض الكلام في حديثهم.
● إذا كانَ البدنُ الماديُّ بدواخلهِ وخوارجهِ ومَداخله ومَخارجهِ بالنسبة لَها يُوصَفُ بالطَهارة، فكيف يكونُ الحديثُ حينئذٍ عن ذَواتِ مُحمّدٍ وآل مُحمّد.. عن المَعصومين الأربعة عشر؟!
أعتقدُ أنّ في ذلك ما يُشير إلى سفاهةِ ما ذهب إليه مراجعنا وعلماؤنا حينما أفتوا بنجاسة دم المعصوم "صلواتُ الله وسلامه عليه".
إذا كانتْ هذه المعاني (معاني الطهارة) واضحة وجليّة بالنسبة للسيّدة نرجس لأنّها نُسِبتْ إلى بعلها وَوَلدها، وكانت موطناً للمُمازجة فيما بين بعلها وَوَلِدها، فكانت في هذه المرتبة من الطهارة المعنويّة والماديّة.. فكيف يكون الكلام بخصوص المعصومين الأربعة عشر؟!

سفاهة قول عُلمائنا ومَراجعنا بشأن قولهم في دم المعصوم، أعتقد أنّها باتت واضحة جدّا.

● جولةٍ سريعة تشتملُ على نَفَحاتٍ مِن هُنا ومِن هناك في رياض كلماتِ آل الله حيثُ العبقُ الجنانيُّ يفوحُ مِن بين حُروفها، ومِن كُلّ زاوية مِن زوايا مَعاني عبائرها.

● نقرأ في زيارة أمّ القائم: (**السلامُ عليكِ وعلى رُوحكِ وبدنكِ الطاهر**) أنا أسألكم أنتم: ماذا تفهمون مِن هذا التركيب (**وبدنكِ الطاهر**)؟
هل الحديث عن طَهارةٍ كطهارة أبداننا (يعني طهارة البشرة الخارجيّة العارضة)؟! أم أنّ المُراد مِن هذهِ الطهارة هي طهارةٌ لِخَوارج البدن ولِدَواخله؟ إذا لم تكنْ كذلك، فما المِيزةُ كي يُذكَر هذا الوصف (**وبدنكِ الطاهر**)؟!
أليسَ هذا مُخالفاً للبلاغة وللحكمة وللمنطق السليم في هندسة هذه النصوص؟ هذهِ النُصوص لها هندسةٌ خاصّة، ولها تركيبٌ بلاغيٌ جميل.. إن لم يكنْ هذا الوصف (وصفُ الطاهر) لبدنها بهذهِ الخُصوصيّة التي أشرتُ إليها.. فهل هناك من قيمةٍ لذكرهِ حينئذٍ؟!

● في أجواء المِخاض وفي أجواءِ الولادة وقفةٌ عند ما حدّثتنا به السيّدة حكيمة في الوثيقة الثانية مِن وثائق "شاشة الأسرة" وهي وثيقة السيّدة حكيمة.. وهي أجواءٌ مُعبّقةٌ بالطهارة المعنويّة والماديّة في أسمى درجاتها.

• تقول السيّدة حكيمة في صفحة 456 من كتاب [كمال الدين وتمام النعمة]:

(حتّى إذا كان آخرُ اللّيل وقتَ طلوع الفجر وثبتْ فزعةً، فضممتُها إلى صدري وسمّيتُ عليها، فصاحَ إليَّ أبو مُحمّد "عليه السلام" وقال: اقرئي عليها «إنّا أنزلناهُ في ليلةِ القدر» فأقبلتُ أقرأ عليها وقلتُ لها: ما حالكِ؟ قالتْ: ظهرَ بي الأمرُ الّذي أخبرتِ به مَولاي، فأقبلتُ أقرأ كما أمرني، فأجابني الجنين مِن بطنها يقرأ مثلَ ما أقرأ وسلَّم عليَّ.

قالتْ حكيمة: ففزعتُ لِمَا سمعت، فصاحَ بي أبو محمّد "عليه السلام" لا تَعجبي مِن أمْرِ الله عزَّ وجلَّ إنَّ الله تَبارك وتعالى يُنطقُنا بالحكمة صغاراً ويجعلُنا حجّةً في أرضه كباراً، فلم يستتمَّ الكلام حتّى غُيّبتْ عنّي نرجس فلم أرها كأنّه ضُرِب بيني وبينها حِجابٌ فعدوت نحو أبي مُحمّد "عليه السلام" وأنا صارخة، فقال لي: ارجعي يا عمّة فانّكِ ستجديها في مَكانها.

قالتْ: فرجعتُ فلم ألبثْ أن كُشِفَ الغطاء الّذي كان بيني وبينها وإذا أنا بها وعليها مِن أثر النُور ما غَشى بصري، وإذا أنا بالصبيِّ ساجداً لوجهه، جاثياً على رُكبتيه، رافعاً سبَّابتيه، وهو يقول: «أشهدُ أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنَّ جدّي مُحمداً رسول الله وأنَّ أبي أمير المؤمنين» ثمَّ عدَّ إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه. ثمَّ قال: «اللّهمّ انجزْ لي ما وعدتني واتمِمْ لي أمري وثبّتْ وطأتي، واملأ الأرض بي عَدْلاً وقسطاً».

فصاحَ بي أبو مُحمّد "عليه السلام" فقال: يا عمّة تناوليهِ وهاتيه، فتناولتهُ وأتيتُ به نحوه، فلمّا مَثلتُ بين يدي أبيه وهو على يدي سلّم على أبيه فتناولهُ الحسن "عليه السلام" مِنّي والطيرُ تُرفرفُ على رأسه - أي الملائكة بصور الطيور تُرفرف على رأس القائم - **وناولهُ لسانه فشَرِبَ منه، ثمّ قال: امضي به إلى أُمّه لِترْضِعَهُ وردِّيه إليَّ، قالتْ: فتناولتْهُ أُمّهُ فأرضعته...)** وبعد ذلك الإمام أخذ الملائكة أن تأخذه.

أجواء مِن أوّلها إلى آخرها مُشبَعة بالنظافة والطهارة المعنويّة والماديّة، فلا أثر للنجاساتِ والأوساخِ والقذاراتِ أبداً.. مع أنّنا لم نشهدْ هذا الموقف، ولم تصلْ إلينا التفاصيلُ دقيقةً جدّاً.. وما جاء منقولاً في هذه الروايات الطويلة لم ينقلَ الحقيقةَ كما هي بدرجة 100%.. ومعَ كُلّ ذلك فإنّنا نتلمّسُ معاني الطهارة والتطهّر في أعمق ما يُمكن أن نتصوّر له من معنى (إن كان ذلك على المُستوى المادّي أو على المُستوى المعنوي).

هذهِ المضامينُ تتعانقُ مع هذه الزيارة.. وإنّما الزيارةُ تُجمِل المضمون لأنّ الزيارة نصٌّ عقائديٌّ يكون مُركّزاً.. وليس شرحاً وتفسيراً.. وإنّما الشروحُ والتفاسيرُ تأتينا في مثل هذهِ الوثائق، وفي مِثل هذهِ التفاصيل التي نَعرفُها عن سِيرتهم الطاهرة "صلواتُ الله وسلامه عليهم".

● وقفة عند حديث صفيّة بنت عبد المُطلّب في كتاب [بحار الأنوار: 43] صفحة 243 الحديث 16 وهي تُحدّثنا عن ولادة الحُسين "صلواتُ الله عليه":

(عن صفية بنت عبد المطلب قالت: لمَّا سقط الحسين مِن بطن أُمّهُ وكنتُ ولّيتُها - أي تولّيتُ أمر خِدمتها حين ولادتها - **قال النبي: يا عمَّة هلمّي إليَّ ابني فقلتُ: يا رسول الله إنَّا لم نُنظّفهُ بعد، فقال: يا عمَّة أنتِ تُنظّفينَهُ؟ إنَّ الله تباركَ وتعالى قد نظَّفهُ وطهَّرهُ)**

وما كان لأوّلهم فهو لآخرهم وما كان لآخرهم فهو لأوّلهم.. المضمون واضح ولا نحتاجُ فيه إلى شرحٍ طويل.

فحين يقول رسول الله: (**إنَّ الله تباركَ وتعالى قد نظَّفهُ وطهَّرهُ**) فهل يتحدّث عن تنظيفٍ وتطهيرٍ لظواهر البدن؟ أم أنّ القضيّة أعمق وأبعد.. خُصوصاً إذا أردنا أن ندخل في تفاصيل هذا الموضوع.. كما نقرأ في زيارة وارث ونُحنُ نُخاطب سيّد الشهداء:

(يا مَولاي يا أبا عبد الله، أشهدُ أنَّكَ كُنتَ نُوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المُطهّرة، لم تُنجّسكَ الجاهليّة بأنجاسها، ولم تُلْبسكَ مِن مُدلهمّاتِ ثيابها..)

عبارة "المُطهّرة" هل تختلف عن التعبير في آية التطهير {**إنّما يُريدُ الله لِيُذهِبَ عنكم الرجسَ أهل البيت ويُطهّركم تطهيراً**}؟!

وهل يُمكن لِنُور الله أن يتقذّر أو أن يتّسخ أو أن يتنجّس..؟! وهل يُمكن لنور الله أن يَحلّ في مَحلّ يكونُ مُقذّراً مُنجّساً..؟!

ولا تنسوا أنَّ ما كان لأوّلهم فهو لآخرهم وما كان لآخرهم فهو لأوّلهم.. فهذا الخِطابُ أيضاً نُخاطِبُ به إمام زماننا.

• قول الزيارة (**لم تُنجّسكَ الجاهليّة بأنجاسها، ولم تُلْبسكَ مِن مُدلهمّاتِ ثيابها**) أنتَ مُنزّهٌ عن أنجاس الجاهليّة بكلّ أشكالها وأنحائها، وأنجاس الجاهليّة (معنويّةٌ وماديّة) أمّا الأنجاس المَعنويّة فهي تلك المُدلهمّات.

هُنا تتجلّى الحقائق وهُنا تُشرقُ المَعاني بأبهى صُوَرها.. ها نَحنُ نُخاطِبُ تلكَ الحقيقةَ النُوريّة التي حُصرتْ في هذا العنوان: (الحُسين).

(لم تُنجّسكَ الجاهليّة بأنجاسها، ولم تُلْبسكَ مِن مُدلهمّاتِ ثيابها..)

والجاهليّة لَيستْ مَحصورةً في زَمنٍ مِن الأزمنة.. أنوارهُم تَناقلتها الأصلاب الطاهرة والأرحام الطاهرة.. الأصلاب المُنيرة والأرحام المنيرة.

● وقفة عند حديث الإمام الصادق في [الكافي الشريف: ج1] - باب مولد النبيّ ووفاته، الرواية (9) والإمام يُحدّثنا فيها عن مولد المُصطفى والمُرتضى:

(إنَّ الله كان إذْ لا كان، فخَلَقَ الكانَ والمكان، وخَلَقَ نُورَ الأنوار الذي نُوّرتْ منهُ الأنوار، وأجرى فيه مِن نُورهِ الذي نُوّرتْ منهُ الأنوار، وهو النُور الذي خَلَقَ منهُ مُحمّداً وعليّاً، فلم يَزالا نُورينَ أوّلين إذْ لا شيءَ كُوّن قبلهُما، فلم يزالا يجريانِ طاهرينِ مُطهَّرين في الأصلاب الطاهرة حتّى افترقا في أطهر طاهرين: في عبد الله وأبي طالب عليهما السلام)

• هذا التعبير (**حتّى افترقا في أطهر طاهرين**) يُشير إلى أنّ منزلة عبد الله ومنزلة أبي طالب أعلى مِن كُلّ الذين سبقوهم مِن آباء وأجداد رسول الله؛ لأنّ نُور مُحمّد وصل إلى المَرتبة التي سيتجلّى فيها في هذا العالم، فجاء عِبْر عبد الله، وكذاك نُور عليّ إذ جاء عِبْر أبي طالب.. ولذلك كان الاثنان موصوفين بهذا الوصف (**في أطهر طاهرين: في عبد الله وأبي طالب**)

وهذا التطهير يُخبرنا عن عصمتهم "صلواتُ الله عليهم" خُصوصاً إذا نظرنا إلى التفاصيل السابقة والتي ذُكرتْ في نفس هذه الرواية.. الحديثُ عن النور الإلهي في أعلى مَراتبه، وعن نُور الأنوار، وعن مُحمّدٍ وعلي يَجريانِ طاهرين مُطهَّرين في الأصلاب الطاهرة.. فماذا أقول أكثر من ذلك؟!

• هذا الافتراق (**في أطهر طاهرين**) هو افتراقٌ مادّي قبل أن يكون افتراقاً معنويّاً.

ألا تلاحظون أنّ الرواية تتحدّث بشكلٍ واضح عن الجهة الماديّة حينما اقتربنا إلى أطهر الطاهرين.. صحيحٌ أنّ الرواية في بداياتها كانتْ تَتحدّث في أعمق المعاني الغَيبيّة النُوريّة ولكن الرواية في نِهايتها إنّها تتحدّث عن الجانب المادي (**فلم يزالا يجريانِ طاهرينِ مُطهَّرين في الأصلاب الطاهرة**)

نَحنُ لا نُريد أن نُفرّق بين الجَنبةِ الماديّة والجنبةِ المَعنويّة، ولكن العبارات واضحة أنّها تُشير إلى الجنبة الماديّة.

• وحين جاء التعبير (**في أطهر طاهرين**) هل نستطيعُ أن نتصوّر كائناً هُو الأطهرُ بين الأطهار وتكونُ طهارتهُ فقط في الجنبة المعنوية؟! لا يُمكن هذا..

فحِين نقول: (**في أطهر طاهرين**) يعني أطهر طاهرين مِن الجهة المعنويّة ومِن الجهة الماديّة.. وهذا هو الذي يكون مُناسباً لنور مُحمّدٍ ولنور عليّ.

هذه المعاني تأتي مُنسجمةً جدّاً ويتقبّلها الذوق العقائدي السليم وتأتي مُنسابةً مع منطق العقل الذي يعتمدُ الحقائق التي مرّتْ الإشارةُ إليها فيما سلف مِن الصور والحقائق التي تمّ حشدُها ورصفُها في الشاشاتِ التي عرضتُها بين أيديكم.

قطعاً يُقابل هذهِ الأطهريّة أطهريّةٌ في أمّ رسول الله وأطهريّةٌ في أمّ عليّ.. (**أشهدُ أنّكَ كُنتَ نُوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المُطهّرة**)

● قرأتُ عليكم في الحلقة التي عَرضتُ فيها نَصّ زيارة السيّدة نرجس، قرأتُ عليكم نصّ زيارة السيّدة فاطمة بنت أسد والدة أمير المؤمنين "صلواتُ اللهِ عليهِ وعليها". بنحوٍ سريع أمرّ على بعض العَبائر وبعض الجُمَل التي وردتْ في زيارتها الشريفة في نفس هذا السياق

● نَحنُ نُسلّم على السيّدة فاطمة بنت أسد "صلواتُ الله وسلامهُ عليها" في زيارتها الشريفة بنفس التعبير الذي ورد في زيارة السيّدة نرجس:

(**السلامُ عليكِ وعلى رُوحكِ وبدنكِ الطاهر**)

العبارةُ هي هي.. فما كان لأوّلهم فهو لآخرهم، وما كان لآخرهم فهو لأوّلهم. فالسيّدةُ فاطمة والدةُ أوّل الأئمة، والسيّدةُ نرجس والدةُ آخرِ الأئمة.. وقَطْعاً للسيّدةِ والدة الأمير مَنزلةٌ خاصّةٌ مُميّزة لها "صلواتُ الله وسلامهُ عليها وعلى أولادها الأئمة الطاهرين" إنّها أُمّ الأئمة.. إنّها أُمّ علي.

فهذا المعنى المذكور في زيارتها والذي يتحدّث عن طهارتها هو نفس المعنى الوارد في زيارة السيّدة نرجس - كما مرّ - ثُمّ يأتي التأكيد في عبارة أخرى في نفس الزيارة، حين تقول: (**وأشهدُ أنّكِ مَضيتِ على الإيمان والتمسّك بأشرفِ الأديان، راضية مرضيّة طاهرة زكيّة تقيّة نقيّة**)

فهو تأكيد بنفس المعنى.. وهذه الأوصاف كلّها تُعمّق المعنى.. فهي طاهرةٌ، بل إنّ طهارتَها تتسامى وتتسامى لتكون زكيّة.

هي تقيّةٌ نقيّة، وهي راضيّةٌ مَرضيّة.. وهذا المعنى يتجلّى في عبارةٍ أخرى: (**وارزقني مُرافقتها، واحشرني معها ومَع أولادها الطاهرين**) هذهِ أُمّ الأئمة الطاهرين.. هي الأُمّ، هي أُمّهم، فهي الأصل.. أفلا تكون طاهرة؟! أيّ منطقٍ هذا؟!

• قول الزيارة: (**وارزقني مُرافقتها، واحشرني معها ومَع أولادها الطاهرين**) الداعي هُنا يطلبُ الحشر مع أولادها الطاهرين.. فهل يُمكن أن تكون ليستْ طاهرةً والداعي يدعو بأن يحشره الله معها ومع أولادها الطاهرين؟!

إنّها سيّدةُ الطهارة والتطهّر.. إنّها والدةُ أمير المؤمنين "صلواتُ الله وسلامهُ عليه وعليها"

• أمّا العبارة السابقة فتقول: (**السلامُ عليكِ وعلى رُوحكِ وبدنكِ الطاهر**)

إذا كان بدنُها طاهراً، فرُوحها طاهرة.. فإنّما طهارةُ البدن تأتي مِن طَهارة الرُوح (وهي طَهارةُ العَقل والقلب).

● في زيارة إبراهيم ابن رسول الله الذي رحل عن هذه الدُنيا صغيراً.. نقرأ:

(**أشهدُ أنّك قد اختارَ اللهُ لكَ دار إنعامه قبل أن يكتُبَ عليكَ أحكامَهُ ويكلّفكَ حلالَهُ وحرامَهُ فنَقَلَكَ إليه طَيّباً زاكيّاً مَرضيّاً طاهراً مِن كلّ نجس مقدّساً مِن كلّ دَنَس وبوّأكَ جنّة المأوى ورَفعَكَ إلى الدرجات العُلى**..). هذه عقيدتنا في إبراهيم ابن رسول الله "صلّى اللهُ عليه وآله".

قول الزيارة عن إبراهيم (**فنَقَلَكَ إليه طَيّباً زاكيّاً مَرضيّاً طاهراً مِن كلّ نجس مقدّساً مِن كلّ دَنَس**) هي نفس الأوصاف المَوجودة في زيارة السيّدة نرجس، وهي نفس الأوصاف الموجودة في زيارة السيّدة فاطمة والدة أمير المؤمنين.

العبارات واضحة، وهي أجلى في المَعاني الماديّة مِن المَعاني المعنويّة، ولا تحتاجُ إلى شرح.. وتعساً لِعلم الرجال، وتعساً لعلم الكلام، وسفاهةً لتلك الآراء التي تتحدّث عن نجاسة دم المعصوم أو نجاسة سائر شُؤونه الأخرى.

• **قد يقول قائل:** إنّ الطهارة المَعنويّة أعلى رُتبة مِن الطهارة الماديّة.. وأقول: نعم، ولكن الطهارة المعنويّة إذا ما تسامتْ وتعالتْ فإنّها ستنعكسُ في العالم المادي، وحينئذٍ تتحقّق الطهارةُ الماديّة، وحينما تتحقّق الطهارة الماديّة ونَتحسّسُها ونَتلمَّسُها فإنّها تدلّنا على الطهارة المعنويّة العالية.. وهذا جزءٌ مِن حكمة الأئمة في تركيزهم على ذِكْر الطهارة الماديّة لأنّها تأخذنا وتُرشدنا إلى الطهارة المعنويّة العالية.. لأنّ الطهارة الماديّة هي نِتاجٌ مِن الطهارة المعنويّة العالية.. هذهِ هي الحقيقة، ولكن ماذا نَصنعُ لِعقولٍ ارتكستْ في الفِكْر الناصبي؟! وماذا نَصنعُ لِسفاهاتٍ صَارتْ هي الأصل في البُنية العقائديّة الشيعيّة؟! هذا هو مَنطقُ آل مُحمّد.. هذهِ ثقافتُهم، وهذهِ أصولهم.

● في زيارة الصدّيقة الكُبرى نقرأ هذه العبارة: (**صلّى اللهُ عليكِ وعلى رُوحكِ وبدنكِ**) لم يأتِ هنا ذِكرُ هذا الوصف "الطاهر" لِبدنها الشريف، لأنّ القضيّة واضحة، فنحنُ نقرأ في أوّل زيارة الصدّيقة الكُبرى:
(**وزَعَمنا أنّا لكِ أولياء ومُصدّقون وصابرونَ لكلِّ ما أتانا بهِ أبوك صلّى الله عليه وآله وأتى بهِ وصيّه فإنّا نسألك إنْ كُنّا صدّقناك إلّا ألحقتِنا بتصديقنا لهما بالبشرى لنبشّر أنفُسنا بأنّا قد طهُرنا بولايتكِ**)
وِلاؤنا لِفاطمة يُطهّرنا طهارةً مَعنويّة وطهارةً ماديّةً تتناسبُ مع طهارتنا المعنويّة.. طهارتنا الماديّة عارضة لأنّ طهارتنا المعنويّة عارضة (طهارةٌ محدودةٌ بِحدودنا).. هذا هُو شأنُنا.. هذا هو الحدّ الذي نستطيعُ أن نصِل إليه.
فهناك حكمةٌ دقيقةٌ في عدم ذِكر وصف "الطاهر" في زيارتها الشريفة.. علماً أنّه لا إشكال لو ذُكِر هذا الوصف في زيارتها الشريفة.. ولكنّ عدم الذكْر يشتملُ على إشارةٍ ذكيّة وواضحة جدّاً. فإنّ طهارةَ الطاهرين مُتفرّعةٌ عن جوهر الطهارة.. هذا هو أصلُ الطهارةِ والتطهّر.. إنّها "فاطمة".
هو هذا الإسم "فاطمة" يشتملُ على معنى الطهارةِ في أسمى معانيها.. فها نَحنُ نُخاطبها "صلواتُ الله عليها" في زيارتها الشريفة:
(**لنبشّر أنفُسنا بأنّا قد طهُرنا بولايتكِ**). ولايةُ فاطمة هي شأنٌ مِن شُؤون فاطمة.. ونَحنُ هُنا حين نتحدّثُ عن "ولاية فاطمة" فإنّنا نتحدّثُ عن ولايةِ فاطمة التي نَرتبطُ بها، لا نتحدّث عن ولايتها الذاتيّة.. إنّما نتحدّث عن آثار وأعراض ولايتها الذاتيّة.
الارتباطُ بهذهِ الآثار لولاية فاطمة هُو الذي يكونُ سبباً لِطهارتنا.. فلذلكَ هي جوهرُ الطهارة ومَعدنها وأصلها.. فلا حاجةَ لأن يُوصَف بدنُها بهذا الوصف.
أمّا حينما يكون الحديث عن السيّدة فاطمة الهاشميّة فلابُدّ أن تُبيّن هذه الحقائق، لأنّ نُصوص الزيارات هي مصادر للمعرفة والعقيدة ينسجُها وينظمها لنا الأئمة المعصومون "صلواتُ الله وسلامهُ عليهم" كي نتبصَّرَ في عقائدنا وكي نعرفَ طَريقنا. هذه الزيارات هي مصادر العقيدة وليس "علم الكلام".. علمُ الكلام هذا هو علمُ الضلال، فهو علْمٌ جيئ بهِ مِن النواصب، وفَرَضهُ مَراجعُنا وعُلماؤنا على الواقع الشيعي..!
هذهِ الزيارات هي حديثُ آل مُحمّد الذي نتحدّثُ به معهم.. فهذهِ الزيارات هُم "صلواتُ الله عليهم" نظّموها لنا وقالوا لنا: حدّثونا بها.
فإذا كان الأئمة هُم الذين نظموا هذهِ الزيارات وقالو لنا إذا أردتم أن تُحدّثونا فحدّثونا بها.. فَإنّهُ مِن المَنطقي أن تشتملَ هذهِ الزيارات حينئذٍ على المَعارف والعقائد والأسرار المعنويّة.. وكُلٌّ يأخذُ منها بِحسبهِ.. وكُلّ نصٍّ لهُ خُصوصيّته.. وتِلك هي أسرارُ منظومة الأدعية والزيارات (المنظومة العجيبة).

● في الآية 33 من سورة الأحزاب: {**إنّما يُريدُ الله لِيُذهِبَ عنكم الرجسَ أهل البيت ويُطهّركم تطهيراً**}
الآيةُ تحدّثتْ أولاً عن نفي الرجس، والرجسُ عُنوانٌ لكلّ نقصٍ، لكلّ نجاسةٍ (ماديّة أو معنويّة).
إذهابُ الرجس يكفي أن يكونَ عُنواناً للتطهّر والطهارة.. فإذا أذهبنا الرجس فإنّ الطهارة قد حلّتْ، قد ظهرتْ، قد بانتْ، قد تجلّتْ، قد أشرقتْ.. قُلْ ما شِئتْ. فلو أنّ الآية اكتفتْ بهذا فهي كافيةٌ ووافيةٌ وشافيةٌ في مَعنى عصمتهم وطهارتهم "صلواتُ الله وسلامه عليهم".. وواضح أنّ الآية تتحدّث عن مَجموعة اسمها (أهل البيت).. وهذا البيت لا علاقةَ لهُ بالبيوت التي ذُكرتْ في الآيات حين تقول الآية في سُورة الأحزاب: {**وَقَرْنَ في بُيوتكُنّ**} هذهِ البيوت هي لنساء النبيّ ولا علاقة لها بهذا البيت الذي ذُكِر في آية التطهير.
ونساء النبي تُخاطبهم الآية 30 مِن سورة الأحزاب بهذا الخِطاب: {**يا نساء النبيّ مَن يأتِ مِنكُنَّ بفاحشةٍ مُبيّنةٍ يُضاعَف لها العذابُ ضعفين..**}
فلا معنى للتطهّر والطهارة هُنا، لوجود احتمال أن نساء النبيّ قد يأتين بالفاحشة.. وحتّى لو لم يأتينَ بالفاحشة فهذا الاحتمال قائم لعدم العصمة.. وهذا شيء منطقي. فالآية واضحة حين تقول لنساء النبيّ: {**مَن يأتِ مِنكُنَّ بفاحشةٍ مُبيّنةٍ..**} يعني يُمكن لِنساء النبيّ أن يأتينَ بالفاحشة، بغضّ النظر هل صدرتْ الفاحشة أم لم تصدر، ولكن هذا المعنى مُمكن.. فلا معنى للتطهير والتطهّر هنا.
فحينما نقرأ هذه الآية {**وَقَرْنَ في بُيوتكُنّ**}، ونقرأ أيضاً هذه الآية: {**إنّما يُريدُ الله لِيُذهِبَ عنكم الرجسَ أهل البيت ويُطهّركم تطهيراً**} فالمقصود في آية التطهير هو بيتٌ آخر لا علاقة له ببيوت نساء النبيّ.
• في آية التطهير الآية تقول: {**ويُطهّركم تطهيراً**} وهذا الفعل (**يُطهّركم**) فعل مُشدّد عبارة عن فعلين (**ويُطْهِرَكم، ويُطْهِركم**).. ثُمّ بعد ذلك قالت الآية: {**تطهيراً**} وهذا مَصدر مَفعول مُطلق مِن نفس لفظ الفعل، وإذا جاءَ المَفعول المُطلق مِن نفس لفظ الفِعل فهذا توكيد.. تكرار للمعنى.. فيكون المُراد مِن {**تطهيراً**} هنا أي: يُطْهِركم.. نفس الفعل.. ويكون المَعنى حينئذٍ: **ويُطْهِرَكم ويُطْهِركم ويُطْهِرَكم**.
• أمّا إذا قُلنا بأنّ {**تطهيراً**} توكيد لنفس الفِعل المُشدّد {**ويُطهّركم**} فيكون الكلام: **ويُطْهِرَكم أوّلاً، ويُطْهِركم ثانياً، ويُطْهِرَكم ثالثاً، ويُطهِرُكم رابعاً.**
هذهِ طهارةٌ للذاتِ، وللصفاتِ، وللأفعالِ، ولكلّ الآثار والشُؤون المُختلفة.. فهل الذوات المُطهّرة في كُلّ هذهِ الاتجاهات، هل يُمكن أن تكون طهارتُها الماديّة مُنتقَصة في جهةٍ من الجهات؟! أيُّ منطقٍ أعوج هذا؟!

● في الزيارة السادسة لسيّد الأوصياء - بحسب تبويب مَفاتيح الجنان، وهي مِن الزيارات المُطلقة - نقرأ فيها هذه العبارات:
(**أشهدُ أنّك طُهْرٌ طاهرٌ مُطهّر مِن طُهْرٍ طاهرٍ مُطهَّر..**) الطُهْر هو مَصدر الطهارة.. و(طاهر) هي الذات التي تَجلّتْ فيها معاني مَصدر الطهارة هذا، وهذهِ الذات حين تفعلُ، وحِين تُؤثّر، وحِين تُحرّك، وحِين تُسكّن.. إنّها ذاتٌ مُتلبّسةٌ بالطهارة.. فطاهر: صيغة فاعل. فحين نقرأ في الزيارة: (**أشهدُ أنّك طُهْرٌ طاهرٌ مُطهّر مِن طُهْرٍ طاهرٍ مُطهَّر..**) هذه صِفة مُؤكّدة مُشدّدة مُعظّمة.. وهي نفس المعاني التي أشرتُ إليها في آية التطهير.
وهي نفس المعنى في زيارة الحُسين "صلوات الله عليه" الرجبيّة والشعبانيّة، حين نُخاطب سيّد الشهداء: (**أشهدُ أنّكَ طُهْرٌ طاهرٌ مُطهّر، مِن طُهْرٍ طاهرٍ مُطهَّر، طَهرْتَ وطَهُرتْ بكَ البلاد، وطَهرتْ أرضٌ أنتَ بها وطَهُرَ حرمُك**) هذه آثار تتجلّى مثلما تتجلّى آثار طهارة فاطمة في الذين تتولّاهم هي بعد أن يتولّوها.. (**لنبشّر أنفُسنا بأنّا قد طهُرنا بولايتكِ**).
• قول الزيارة (**وطهُرتْ بكَ البلاد**) طهارةُ البلاد فيها بُعْدٌ معنوي وفيها بُعدٌ مادّي.. مثلما طَهُرتْ أرضُ كربلاء فصارتْ لها مِن الخصوصيّة ما صارت.. فطهارة أرض كربلاء فيها بُعْدٌ ماديّ وفيها بُعدٌ معنوي.. وإلّا ما معنى الشفاء في تربة كربلاء؟ هذا بُعدٌ معنويٌّ وماديٌّ في نفس الوقت.

فحين نُخاطِبُ سيّد الشُهداء بهذا الخطاب: (**أشهدُ أنَّكَ طُهْرٌ طاهرٌ مُطهّر، مِن طُهْرٍ طاهرٍ مُطهَّر، طَهرْتَ وطَهُرتْ بكَ البلاد، وطَهرتْ أرضٌ أنتَ بها وطَهُرَ حرمُك**) فنحنُ نُخاطب سيّد الأوصياء بهذا الخطاب أيضاً.. وهذا الخطاب يُوجّه أيضاً لإمامِ زماننا.. ومَضمونُ هذهِ العِبارات هو نفس المَضمون الذي جاء في دُعاء الاستئذان الذي يُقرأ عند زيارة أئمتنا بنحوٍ عام، وفي زيارة السرداب الشريف في سامراء بنحوٍ خاص.. إذ يقول الدعاء:
(**اللَّهُمَّ إنَّ هذهِ بقعةٌ طهَّرتها وعقوةٌ شرَّفتها ومعالمٌ زكّيتها حيثُ أظهرتَ فيها أدلّةَ التوحيد وأشباحِ العَرش المجيد، الذين اصطفيتهم مُلوكاً لِحِفظ النظام، واخترتهم رُؤساء لجميع الأنام، وبعثْتَهم لقيامِ القِسْط في ابتداءِ الوجود إلى يوم القيامة..**). وهذا المعنى يتجلّى بشكلٍ واضح وجلّي في إمام زماننا "صلواتُ الله عليه".. إلى أن يقول الدعاء: (**فصلّى اللهُ عليهم مِن سادةٍ غائبين ومِن سُلالةٍ طاهرين ومِن أئمة مَعصومين**).

• الدعاء يقول: (**اللَّهُمَّ إنَّ هذهِ بقعةٌ طهَّرتها**) فالكلام هو هو الذي مَرّ علينا في زيارة سيّد الشهداء الرجبيّة الشعبانيّة.

• قول الدعاء: (**ومِن سُلالةٍ طاهرين**) السُلالةُ ما يُستلُّ مِن الشيء، ولذا يُقالُ عن النُطفة أنّها سُلالة لأنّها تُستلُّ مِن جميع البدن.. هي خُلاصةٌ لكلّ تراكيب البدن. السُلالة هي النُطفة.. فالطهارةُ هي مِن شؤوناتهم في جميع المراتب وفي جميع الحالات، وفي جميع المظاهر، وفي جميع المقامات، في عالم الشهادة وفي عالم الغيب، في العالم الذي كانوا فيه ولم يكن مَعهم شيءٌ مِن سائر المَخلوقات التي اشتُقّتْ مِن أنوارهم، أو حينما تَجلّوا في كُلّ طبقات العَوالم التي شعّتْ مِن أنوراهم. في عالم السماء، في عالم الأرض، في عالم المعنى، في عالم المادّة والحواس، في كُلّ ما يُمكن أن يُتصوَّر.. الطهارة تُلازمهم ذاتاً، بل هُم جوهرُ الطهارة ومعدنُها وعُنصرها الأصلي كما نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة:
(**وأنَّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابتْ وطَهُرتْ بعضُها مِن بعض، خَلَقكم اللهُ أنواراً فجَعَلَكم بعَرشهِ مُحدقين** - أي مُحيطين - **حتّى مَنَّ علينا بكم فجَعَلكم في بيوتٍ أذِنَ اللهُ أن تُرفَع ويُذكَر فيها اسْمه، وجعَلَ صَلاتنا عَليكم وما خصَّنا بهِ مِن ولايتكم طِيباً لِخَلقنا وطهارةً لأنفُسنا وتزكيةً لنا وكفَّارة لِذُنوبنا**). أرواح، نور، طينة.. إنّها عناوين لِمَظاهرهم التي تَجلّتْ ولا تزالُ تتجلّى في عَوالم النُور وعوالم الغَيب وعوالم الشهادة وعوالم التراب، ومِن العَرش إلى النقش، وما قبل العرش وما بعد النقش.. هذهِ عناوين تُشيرُ إلى مَظاهرهم التي لا تُعدّ ولا تُحصى.. هُم نعمةُ الله الظاهرة والباطنة.

• **على سبيل المثال:**

حينما نقرأ ما جاء في سورة لقمان: {**وأسبغَ عليكم نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنة**} هذه النِعَم الظاهرة والباطنة بصريح القُرآن وبصريح العَقل {**إنْ تعدّوا نعمةَ اللهِ لا تُحصوها**} والمعنى الأوّلُ والحقيقيُّ لِنعمة الله مُحمّدٌ وآل مُحمّد "صلواتُ الله عليهم أجمعين". الزيارة الجامعة الكبيرة تُخبرنا عن عناوين، هذهِ العَناوين تُشير إلى جُملة مِن مَظاهرهم. هذهِ نَفَحاتٌ مِن آثار طَهارتهم التي تتجلّى فيمَن يَرتبطُ بولايتهم.

فما جاء في زيارة السيّدة نرجس (**السلامُ عليكِ وعلى رُوحكِ وبدنكِ الطاهر**) إنّهُ حديثٌ عن طَهارة بدنها بشكلٍ كامل في ظواهرِهِ وبواطنه، في دَواخلهِ وخَوارجهِ.. فهي جُزءٌ لا يتجزّأ مِن هذهِ المنظومة الطاهرة المُطهّرة.. وإنّما نالتْ كُلّ هذا بسبب مُمازجتها لِهذين العُنوانين: (**السلامُ عليكِ وعلى بعلكِ وولدك**). هذهِ المُمازجة بكلّ أشكالها هي التي جعلتْ مِن هذهِ الأميرة الرُوميّة بهذهِ المنزلة وبهذهِ الخصيّصةِ وبهذه الدرجة وبهذه المرتبة.. إنّها أُمّ إمام زماننا.. إنّها أُمّ القائم.

● المِفكّ الثاني يأتي الحديثُ عنه لِحلقة يوم غد.

أنا عرضتُ عليكم التفاصيل وأخذتُكم في جَولةٍ في أجواءِ طَهارتهم وطُهْرهم، وأردتُ أن أعرضَ عليكم ما قالَهُ مَراجعنا مِن سفيه القَول حينما أفتوا - من دون قصدٍ سيّئ - بنجاسةِ دَم المَعصوم، وهُم لا يحتاجون هذهِ الفتوى في شيءٍ من الأشياء..! إنها سفاهة في القول، وسفاهةٌ في العَقيدة، وسَفاهةٌ في التصرّف.. فما الذي يحتاجهُ مراجعنا حينما يُفتون بنجاسة لنا بنجاسة دم المعصوم في كُتبهم الفقهيّة؟!

عمليّاً هُم لا يحتاجون هذهِ الفتوى.. ولكنّها سفاهة الرأي، وإنّما حلّتْ بهم هذهِ السفاهة بدلاً مِن الفقاهة لأنّهم غَطسوا في الفِكْر الناصبي!